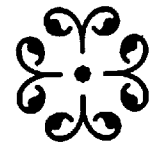

عيسى
عليه السلام
والمعجزات التى أظهرها الله على يديه

يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

يوضح الله - عز وجل - أنه اصطفى آدمَ - عليه السلام - والْخُلَّصَ من ذريته المتبعين شرعه، الملازمين طاعته، ثم خَصَّصَ فقال: ونوحًا، وآلَ إبراهيم، فدخل فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق، ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب، وهم آل عمران، والمراد بعمران هذا «عِمْرَان بن مَاثَانَ» والد مريم - عليها السلام - وهو من أشراف بنى إسرائيل وأَحْبَارِهم، ومن سُلالة نبيهم داود - عليه السلام - لا خلاف فى ذلك. وكان عمران هذا صاحبَ صلاة بنى إسرائيل فى زمانه، كما كانت زوجته «حِنَّةُ» - أُم مريم - مِنَ العابدات، وكان زكريا - نبى ذلك الزمان - زوج أخت مريم «أشياع»[2] فى قول الجمهور، وقيل: زوج خالتها «أشياع» فالله أعلم.

وقد ذكر محمد بن إسحاق، وغيره: أن أم مريم «حِنَّة» كانت

(١) آل عمران: ٣٣ - ٣٧.
(٢) وقيل: أُلِيصَابَات.

عاقرًا، لا تحبل، فرأت يومًا طائرا يَزُقُّ فرخًا له[1] فاشتهت الولد، فنذرت لله إن حملت لتجعلن وَلَدها مُحَرَّرًا، أى: حبيسًا فى خدمة بيت المقدس. قالوا: فحاضت من فورها، فلما طهرت واقَعها بَعْلُهَا، فحملت بمريم ـ عليها السلام ـ فلما وضعتها قالت: رَبِّ إنى وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وهى تقصد أن الأنثى لا تستطيع خدمة بيت المقدس كالذكر، وقالت: وإنى أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. وقد استجاب الله لدعائها، كما تقبل منها نَذْرَهَا.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهرى، عن ابن المسيب، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «**ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يُولَد فيستهلّ صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها**». ثم يقول أبو هريرة: وَاقْرَءُوا إن شئتم: ﴿**وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[2].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ، قال: «**كُلُّ مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بأصبعه، إلا مريم بنت عمران وابنها عيسىٰ**».

وذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها فى خِرَقِهَا[3]،

(١) يزق: يُطعمه بفَمه. ولما رأتْ ذلك تحركت فى قلبها عاطفة الأُمومة.

(٢) آل عمران: ٣٦.

(٣) فى خِرَقِهَا: فى قِطَعٍ من ثيابها المُمَزَّقة، جَمْعُ خِرْقَة.

ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العُبَّاد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رَضَاعِهَا وكفالة مثلها فى صغرها، ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا فى أيهم يكفلها، وأرَادَ زكريا - نبيهم فى ذلك الزمان - أن يستأثر بها دونهم من أجل أن زوجته أختها، أو خالتها على القوليين، فشاحنوه فى ذلك، وطلبوا أن يقترع معهم، فساعدته المقادير، فخرجت قُرعته غالبةً لهم، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1]، أى: بسبب غَلَبِهِ لهم فى القُرعة.

قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكانًا شريفًا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يُضْرَبُ بعبادتها المَثَلُ فى بنى إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة، حتى أن نبى الله زكريا كلما دخل عليها مَوْضِعَ عبادتها يجد عندها رزقًا غريبًا فى غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف، فيسألها: أَنَّى لكَ هذا؟ فتقول هو من عند الله، أى: رِزْقٌ رزقنيه الله.

عند ذلك طمع زكريا فى وجود وَلَدٍ من صُلبه، وإنْ كان قد أَسَنَّ

(١) آل عمران : ٣٧.

وكَبِرَ، فَدَعَا رَبَّهُ قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1]. فكان من خبره وقصته ما قدمنا.

ويقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[2].

(١) آل عمران: ٣٨.

(٢) آل عمران: ٤٥- ٥١.

من هذه الآيات الكريمة يتبين لنا أن الملائكة بَشَّرَتْ مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء العالمين بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، وبُشِّرَتْ بأنه سيكون نبيًّا شريفًا.

ميلاد عيسى وأول المعجزات

عندما بشرت الملائكة مريم باصطفاء الله لها، وبأنه سيهب لها ولدًا زكيًّا، يكون نبيًّا كريمًا، مُؤَيَّدًا بالمعجزات، تعجبت من وجود ولد، لأنها لا زوج لها، ولا هى ممن تتزوج.. فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على كل شئ؛ لذلك أنابتْ وسَلَّمَتِ الأمرَ لله، وعلمتْ أن هذا فيه تحية عظيمة لها وشَرَفٌ عظيم، برغم أن الناس سيتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تَدَبُّرٍ ولا تعقل.

وبينما هى قد خرجت من المسجد لقضاء حاجتها الضرورية - وهى شرقى المسجد الأقصى - بعث الله تعالى إليها الروح الأمين جبريل ﴿ **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾، فلما رأته قالت: ﴿ **إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾[1]. أى: إنى أستجير بالله منك إنْ كُنْتَ ذا تَقْوَى، أَنْ تنال منِّى ما حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ، قال أبو العالية: عَلِمَتْ أن التَّقِىَّ ذو نُهْيَةٍ، أى: «عَقْل».

(١) مريم: ١٧، ١٨.

قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[1]؟ أى: كيف يكون لى غلام ولَسْتُ بذات زوج، وما أنا ممن يفعل الفاحشة؟ ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[2]. فأجابها المَلَكُ عن تعجبها من وجود ولدٍ منها والحالة هذه قائلا: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أى: وَعَدَ أنه سيخلق منك غلامًا ولَسْتِ بذاتِ بعلٍ، وهذا هَيِّنٌ عَلَى الله عز وجل، فإنه سبحانه وتعالى عَلَى ما يشاء قدير.

حملت به مريم، ولما جاءها وقت الوضع خرجت من محرابها واتجهت خارج المسجد بعيدًا عن المدينة، وأوت إلى جذْع نخلة، يقول الله عز وجل: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[3].

المعجزة الأولى

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي

(١) مريم: ١٩، ٢٠.
(٢) مريم: ٢١.
(٣) مريم: ٢٢، ٢٣.

﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1].

وهذه هى المعجزة الأولى لسيدنا ـ عيسى عليه السلام ـ قال محمد ابن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله، عن محمد بن شرحبيل، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال: «**لم يتكلم فى المهد إلا ثلاث: عيسى، وَصَبِيٌّ كان فى زمن جُرَيْجٍ، وصبى آخر**».

وقال العوفى عن ابن عباس: «لم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم». وهكذا قال سعيد بن جبير.

أما قول الله عز وجل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أى: حَرِّكيه. قيل: كان جذع النخلة يابسًا، وقيل كانت نخلة مثمرة، فالله أعلم. وقوله: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أى: صالحًا للاجتناء، أو طريًّا.. ﴿فَكُلِي﴾ من هذا الرطب، ﴿وَاشْرَبِي﴾ من هذا الماء، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أى: بولَدِكِ.

وذكر كثير من السلف ممَّنْ ينقل عن أهل الكتاب: أنها لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا فى طلبها، فمروا على محلتها

(١) مريم: ٢٤- ٢٦.

والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها، فقالوا لها: ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أى: أمرًا عظيمًا مُنْكَرًا.

يقول الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ: إن هذا الكلام يناقض أوله آخره، لأن ظاهر سياق القرآن الكريم يدل على أنها حملت ولدها بنفسها، وأَتَتْ به قَوْمَهَا تحمله، قال ابن عباس بذلك، بعدما تعللتْ من نفاسها، بعد أربعين يومًا.

ثم قالوا: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾، وأشهر الأقوال على أن هارون هذا كان رجلاً مشهورًا بالصلاح والتقوى، وليس هو هارون شقيق موسى ـ عليه السلام ـ فبينهما زمن طويل.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾، أى: إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أى: خَاطِبُوهُ وكَلِّمُوهُ، فاعتقدوا أنها تهزأ بهم، فقالوا: ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فعند ذلك نطق عيسى مجيبًا لهم على أسئلتهم ـ بأمر الله عز وجل وقدرته ـ قائلاً: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[1].

(١) مريم: ٣٠ ـ ٣٣.

فكان أول قَوْلٍ قاله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ فاعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله تعالى: ربه، فَنَزَّهَ جَنابَ الله عن قول الظالمين أنه وَلَدُ الله، حاشا لله أن يكون له ولد، بل هو عبد الله ورسوله، وابن أَمَتِه، ثم بَرَّأَ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به.

معجزات أخر

روى الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ فى كتاب البداية والنهاية أنه قد روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر بأسانيده، عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن عباس، وسلمان الفارسى ـ دخل حديث بعضهم فى بعض ـ قالوا: لما بُعِثَ عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بنى إسرائيل يعجبون منه ويستهزِئُون به، فيقولون: ما أكل فلان البارحة؟ وما ادَّخَرَ فى منزله؟ فيخبرهم، فيزداد المؤمنون إيمانًا، والكافرون والمنافقون شكًّا وكُفرانًا.

وكان عيسى ـ مع ذلك ـ ليس له منزل يأوى إليه، إنما كان يسيح فى الأرض، ليس له قرار ولا موضع يعرَفُ به، فكان أَوَّلَ ما أحيا من الموتى: أنه مَرَّ ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهى تبكى، فقال لها: مالك أيتها المرأة؟ فقالت: ماتت ابنة لى لم يكن لى ولد غيرها، وإنى عاهدتُ ربى أَلاَّ أبرح من موضعى هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله لى فأنظر إليها. فقال لها عيسى: أرأيتِ إنْ نَظَرْتِ إليها، أراجعة أنت؟ قالت: نعم. قَالُوا: فَصَلَّى

ركعتين، ثم جاء فجلس عند القبر، فنَادَى: يا فلانة، قومى بإذن الرحمٰن فاخرجى. قالوا: فتحرك القبر، ثم نادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله، ثم نادى الثالثة فخرجت وهى تنفض رأسها من التراب، فقال لها عيسى: ما أبطأ بك عنى؟ فقالت: لما جاءتنى الصيحة الأولى بعث الله لى ملكًا فركَّبَ خَلْقى، ثم جاءتنى الصيحة الثانية فرجَّعَ إلىَّ روحى، ثم جاءتنى الصيحة الثالثة فخفتُ أن تكون صيحة القيامة، فَشَابَ رأسى وحاجباى وأشفار عينى من مخافة القيامة.. ثم أقبلت على أمها فقالت: يا أماه ما حَمَلَكِ على أن أذوق كَرْبَ الموت مرتين؟ يا أماه اصبرى واحتسبى، فلا حاجة لى فى الدنيا، يا روح الله وكلمته: سَلْ ربى أن يردنى إلى الآخرة وأَنْ يُهَوِّنَ علىَّ كَرْبَ الموت. فدعا ربه، فقبضها إليه، واستوت عليها الأرض، فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبًا.

وقيل: إن بنى إسرائيل سألوه أن يُحْيِى لهم سام بن نوح، فدعا الله عز وجل، وصَلَّى لله، فأحياه الله لهم، فَحَدَّثهم عن السفينة وأَمْرِهَا، ثم دَعَا فعادَ تُرابًا.

وقد روى السُّدِّى عن أبى صالح وأبى مالك، عن ابن عباس فى خبر ذكره، وفيه: أن ملكًا من ملوك بنى إسرائيل مات وحُمِلَ على سريره، فجاء عيسى ـ عليه السلام ـ فدعا الله ـ عز وجل ـ فأحياه الله ـ عز وجل ـ فرأى الناس أمرًا هائلاً ومنظرًا عجيبًا، قال

الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[1].

فمن الآيتين الكريمتين نرى أن الله ـ عز وجل ـ قد امتنَّ على عيسى بن مريم بالكثير من النعم والفضل العظيم، حيث خلقه الله ـ عز وجل ـ من أُمٍّ دون أب، فكان آية من آيات قُدرة الله وعظمته، كذلك اصطفاه الله واختاره للنبوة، وأيده الله ـ عز وجل ـ بالمعجزات الباهرات، فهو يخلق من الطين كهيئة الطير فتصبح طيرًا بإذن الله، وهو كذلك يبرئ الأَكْمَهَ والأبرص بإذن الله، فالأكمه هو الذى يُولدُ أعمى، ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مُداواته، والأبرص هو الذى لا طِبَّ له، فصار داؤه عضالاً[2].

(١) المائدة: ١١٠، ١١١.

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٤٧٧، ٤٧٨)

معجزة المائدة

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ: إن مضمون الآيات الكريمة أن عيسى عليه السلام أَمَرَ الحواريين بصيام ثلاثين يومًا، فلما أتموها سألوا عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم، وأن الله عز وجل قد تَقَبَّلَ صيامهم، وأجابهم إلى طلبهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم، ولغنيهم وفقيرهم.. فوعظهم عيسى فى ذلك، وخاف عليهم ألاَّ يقوموا بشكرها، ولا يؤدوا حق شروطها، فَأَبَوْا عليه إلاَّ أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل، فلما لم يقلعوا عن

(١) المائدة: ١١٢ ـ ١١٥.

ذلك قام إلى مُصَلاَّه، ولبس مِسْحًا[1] من شَعَر، وَصَفَنَ قدميه[2]، وأطرق رأسه وأسبل عينه بالبكاء وتضرع إلى الله فى الدعاء والسؤال أن يُجَابوا إلى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء، والناس ينظرون إليها وهى تتحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً، وكلما دنت سأل عيسى ربه أن يجعلها رحمةً لا نقمة، وأن يجعلها بركةً وسلامًا، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدى عيسى ـ عليه السلام ـ وهى مغطاة بمنديل، فقام عيسى يكشف عنها، يقول: «باسم الله خير الرازقين»، ثم أمرهم بالأكل منها، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل. فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداءً، فأمر الفقراء والمحاويج، والمرضَى والزَّمْنَى، وكانوا قريبًا من ألف وثلاثمائة، فأكلوا منها فبرأ كُلُّ من به عاهة أو آفة أو مرض مُزمن، فندم الناس على تَرْكِ الأكل منها لما رأوا من اصطلاح حال أولئك.

ثم قيل: إنها كانت تنزل كل يوم مرةً فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم، حتى قيل: إنها كان يأكل منها سبعة آلاف، ثم كانت تنزل يومًا بعد يوم، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوما بعد يوم، ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على

(١) المِسْح: الكساء من شَعَر.
(٢) أى: صَفَّ قدميه.

الفقراء أو المحاويج دون الأغنياء، فشق ذلك على كثير من الناس، وتكلم منافقوهم فى ذلك، فَرُفِعَتْ بالكلية، ومُسِخَ الذين تكلموا فى ذلك خنازير.

ورَوَى عَمَّار بن ياسر، عن النبى ﷺ، قال: «**نزلت المائدة من السماء خبز ولحم، وأُمروا ألاَّ يخونوا، ولا يَدَّخِرُوا، ولا يرفعوا لغد، فخانوا، وادخروا، ورفعوا، فَمُسِخُوا قردةً وخنازير**».

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم

(١) آل عمران: ٥٤، ٥٥.

﴿ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1].

ومن هذه الآيات الكريمة يتبين أن الله ـ عز وجل ـ قد رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم (على الصحيح المقطوع به) وخَلَّصَهُ مِمَّنْ كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة فى ذلك الزمان.

* * *

(١) النساء: ١٥٥ ـ ١٥٩.